المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 21

صفر 1434

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

المحتويات

من وحي القرآن الكريم

بدع التفاسير (الجزء الخامس)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد،،،

قال سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى في كتابه (بدع التفاسير): "هذا مؤلف عجيب، ليس له في بابه ضريب، تضمن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة، وقد تكون أحيانًا خاطئة[1]، يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى، والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه، لنبو لفظه عنها، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة، أو نحو ذلك، وسميته (بدع التفاسير)، وهي عبارة الزمخشري في (كشافه)، يقولها حين يحكي بعض تلك التفاسير، وإن كان هو نفسه قد وقع في بعضها بسبب عقيدته الاعتزالية التي كان صلبًا فيها، متمسكًا بها حد التعصب والاعتساف، جريئًا في القول بمقتضاها، حتى صدرت عنه عبارات غير لائقة[2]، أو بسبب غلطة في الإعراب، أو مخالفته لسبب النزول، ولم أقصد بهذا المؤلف استيعاب التفاسير المخطئة والخاطئة، فإن ذلك غير متيسر لي الآن، وإنما قصدت ذكر مثُل تكون نموذجًا لما لم يذكر، وعنوانًا عليه".

---

[1] أي آثمة، والمراد أصحابها، أي أنهم آثمون. قال تعالى: ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾، وفي الحديث: ﴿لا يحتكر إلا خاطئ﴾، وأغلب كُتَّاب مصر وأدبائها يستعملون لفظ "خاطئ" بمعنى "مخطئ" فيقولون: أفكار خاطئة يقصدون مخطئة. وهذا من جملة الأغلاط التي ذل بها لسانهم ومرت عليها أقلامهم.

[2] وسماه العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيثمي في مبحث التكذيب بالقدر من (الزواجر): "حامل راية المعتزلة إلى النار"، وما يقال عن توبته من الاعتزال ورجوعه عنه غير صحيح.

قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾:

قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) جملة إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مفرقا حسب الأسباب والمقتضيات، (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ثناءٌ على القرآن، ومدح لرمضان بإنزاله فيه، وهذا التفسير هو المشهور.

وقيل: معنى (أُنْزِلَ فيه القرآن): أنه أنزله في فرضه وإيجاب صومه، فيكون (فيه) للسببية، كما يقال: أنزل الله في الصلاة كذا، أي لأجل الصلاة. وهو مردود بوجهين.

أحدهما: أنه بعيد من مدلول لفظ الآية، مناف لسياقها.

ثانيهما: أن القرآن أنزل في إيجاب الصلاة والزكاة والحج والجهاد، فما الحكمة من تخصيص رمضان بأن القرآن أنزل في إيجابه، ووجه ثالث، ذكره الشريف المرتضى، فقال: هذا التأويل إنما هرب متكلفه من شيء، وظن أنه قد اعتصم بتأويله عنه، وهو بعد ثابت على ما كان عليه. لأن قوله تعالى (القرآن) إذا كان ظاهره يقتضي إنزال جميع القرآن، فيجب على هذا التأويل أن يكون قد أنزل في فرض رمضان جميع القرآن. ونحن نعلم أن قليلاً من القرآن يتضمن إيجاب صوم رمضان، وأن أكثره خالٍ من ذلك. فإن قيل: المراد بذلك أنه أنزل في فرضه شيء من القرآن، وبعض منه قيل: فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه أنزل فيه شيء من القرآن في شهر رمضان. ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة (فيه) بمعنى في فرضه وإيجاب صومه انتهى. وبالجملة هو من بدع التفاسير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

في رحاب المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم-

الإيذاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد أن بدأ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة الجهرية قامت قريش بمعاداته وإيقاع به وبأصحابه الكرام أشد أنواع العذاب والاضطهاد.

ثم إن قريشاً اشتدت في معاداتها لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه. أما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد لاقى من إيذائهم أنواعاً كثيرة. من ذلك ما رواه سيدنا عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: ﴿ بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في حجر إسماعيل إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ ﴾ (رواه البخاري)، ومنه ما رُوِيَ عن سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : ﴿ بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك ﴾ (رواه البخاري)، ومنه ما كانوا يواجهونه به من فنون الهزء والغمز واللمز كلما مشى بينهم أو مرَّ بهم في طرقاتهم أو نواديهم، ومنه ما رواه سيدنا الطبري وسيدنا ابن إسحاق أن بعضهم عمد إلى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير في بعض سكك مكة، وعاد إلى بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكى ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها: ﴿ يا بنية لا تبكى، فإن الله مانعٌ أباك ﴾

وأما أصحابه رضوان الله عليهم، فقد تجرع كل منهم ألواناً من العذاب، حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمي من عمي، ولم يثنهم ذلك عن دين الله شيئاً. ويطول البحث لو ذهبنا نسرد نماذج عن العذاب الذي لاقاه كل منهم، ولكننا ننقل ما رواه سيدنا البخاري عن سيدنا الخباب بن الأرتّ أنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوسدٌ بردةً وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :ألا تدعو لنا ؟ فقعد وهو محمر الوجه، فقال: ﴿ لقد كان

من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ﷺ.

العبر والعظات:

أول ما قد يخطر في بال المتأمل، حينما يرى قصة ما لقيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المشركين، من صنوف الإيذاء والتعذيب، هو أن يتساءل: فيم هذا العذاب الذي لقيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله عز وجل منه وهم جنوده وفيهم رسوله يدعون إلى دينه ويجاهدون في سبيله؟

والجواب: أن أول صفة للإنسان في الدنيا، أنه مكلف، أي أنه مطالب من قبل الله عز وجل بحمل ما فيه كلفة ومشقة. وأمر الدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، والتكليف من أهم مستلزمات العبودية لله تعالى، إذ لا معنى للعبودية لله تعالى إن لم يكن ثمة كلفة ومشقة، وعبودية الإنسان لله عز وجل ضرورة من ضرورة ألوهيته سبحانه وتعالى فلا معنى للإيمان بها إن لم ندرك عبوديتنا له. فقد استلزمت العبودية – إذن– التكليف، واستلزم التكليف تحمل المشاق ومجاهدة النفس والأهواء، ومن أجل هذا كان واجب عباد الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: التمسك بالإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح.

ثانيهما: سلوك السبل الشاقة إليه واقتحام المخاطر وبذل المهج والمال من أجل تحقيق ذلك.

أي إن الله عز وجل كلفنا بالغاية، وكلفنا إلى جانب ذلك بسلوك الوسيلة الشاقة الطويلة إلى هذه الغاية مهما بلغت المسألة في خطورتها وصعوبتها. ولو شاء الله لجعل السبيل إلى إقامة المجتمع الإسلامي بعد الإيمان، سهلاً معبّداً، ولكن السير في هذه السبيل لا يدل حينئذ على شيء من عبودية السالك لله عز وجل وعلى أنه قد باع حياته وماله له عز وجل يوم أن أعلن الإيمان به، وعلى أن جميع أهوائه تابعة ومنقادة لما جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأمكن حينئذ أن يلتقي على هذه الجادة المؤمن والمنافق والصادق والكاذب فلا يتمحص الواحد منهم عن الآخر. وإذن فإن ما يلاقيه الدعاة إلى الله تعالى والمجاهدون في سبيل إقامة المجتمع الإسلامي، سنة إلهية في الكون منذ فجر التاريخ تقضيها حكم ثلاث:

أولاً: صفة العبودية الملازمة للإنسان، لله عز وجل، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات:56)

ثانياً: صفة التكليف المتفرعة عن صفة العبودية، فما من رجل أو امرأة يبلغ أحدهما، عاقلاً، سن الرشد، إلا وهو مكلف من قبل الله عز وجل بتحقيق شرعة الإسلام في نفسه وتحقيق النظام الإسلامي في مجتمعه، على أن يتحمل في سبيل ذلك كثيراً من الشدة والأذى، حتى يتحقق معنى التكليف.

ثالثاً: إظهار صدق الصادقين وكذب الكاذبين. فلو ترك الناس لدعوى الإسلام ومحبة الله على ألسنتهم فقط، لاستوى الصادق مع الكاذب، ولكن الفتنة والابتلاء، هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب، وصدق الله القائل في محكم كتابه: ﴿ الٓمٓ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت:1-3)، والقائل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران:142)، وإذا كانت هذه هي سنة الله في عباده، فلن تجد لسنة الله تبديلاً حق مع أنبيائه وأصفيائه. من ذلك أوذي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوذي من قبله جميع الأنبياء والرسل، ومن أجل ذلك أوذي أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مات منهم من مات تحت العذاب، وعمي من عمي، رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله عز وجل. فإذا أدركت طبيعة العذاب الذي يلقاه المسلم في طريقه إلى إقامة المجتمع الإسلامي، علمت أنه ليس في حقيقته عقبات أو سدوداً تصد السالك أو المجاهد عن بلوغ الغاية، كما قد يتوهم بعض الناس، بل هو سلوك في الطريق الطبيعي الذي خطه الله تعالى بين المسلم والغاية التي أمره بالسير إليها، أي أن المسلمين يقربون من الغاية التي كلفهم الله بالوصول إليها، بمقدار ما يجدونه في طريقهم إلى ذلك من العذاب، وبمقدار ما يتساقط منهم من الشهداء، ولذا، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يتوهم اليأس، إذا ما عانى شيئاً من المشقة أو المحنة. بل العكس هو الأمر المنسجم مع طبيعة هذا الدين، أي أن على المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما رأوا أنهم يتحملون مزيداً من الضر والنكبات سعياً إلى تحقيق أمر ربهم عز وجل، وتأمل فإنك ستجد برهان هذا جلياً في قوله تعالى: ﴿ أم حَسِبتُمْ أنْ تدخلوا الجنّة ولَمّا يأتِكُمْ مَثَلُ الّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبلكُمْ مَسّتْهُمُ البَأْساءُ والضّراءُ، وزُلزلوا حتى يقولَ الرّسولُ والّذينَ آمنوا معهُ متى نصرُ اللهِ ألا إنّ نصرَ اللهِ قريبٌ﴾ (البقرة: 214). فقد كان جواب أولئك الذين لم يفهموا طبيعة العمل الإسلامي، وتوهموا أن هذا الذي يرونه من الأذى والعذاب إنما هو عنوان ودليل على ابتعادهم عن النصر، كان جواب هؤلاء من الله تعالى: ﴿ ألا إنّ نصرَ اللهِ قريبٌ﴾. وتجد برهان هذا جلياً فيما رويناه من قصة سيدنا الخباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه، حينما جاء إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد غالبه العذاب الذي اكتوى به معظم جسده، يشكو إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم ذلك ويسأله الدعاء للمسلمين بالنصر. فقد كان جواب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بهذا المعنى: "إن كنت تتعجب من العذاب والأذى وتستغرب أن ترى ذلك في سبيل الله عز وجل، فاعلم أن هذا هو السبيل.. وتلك هي سنة الله في جميع عباده الذين آمنوا به: مُشِّط الكثير منهم في سبيل دينه بأمشاط الحديد ما بين المفرق والقدم فما صدهم ذلك عن شيءٍ في دين الله، وإن كنت ترى في العذاب دلائل اليأس والقنوط من النصر، فأنت متوهم. بل الحق هو أن تجد في العذاب والأم سيراً في الطريق ودنواً من النصر. وسينصرن الله هذا الدين حتى يسير الرجل من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله" وفي رواية: ﴿ والذئب على غنمه ﴾ وهذا المعنى نفسه هو السر في أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشّر أصحابه بأن الله سيفتح لهم بلاد الروم والفرس، ومع ذلك فلم تُفتح عليهم هذه البلاد إلا بعد وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزمن غير يسير ولقد كان من مقتضى فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ربه ومدى محبة الله عز وجل له، أن تفتح كل تلك البلاد في حياته وبقيادته وتحت إشرافه، بدلاً من أن يسجل التاريخ فتحها بقيادة أحد أتباعه. لقد كان هذا قريباً من مقتضى محبة الله لرسوله، لولا أن النصر مرتبط بالقانون الذي ذكرناه. لم يكن المسلمون في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دفعوا، من أجل انتصارهم في بلاد الشام والعراق، أقساط الثمن كله. ولا بد قبل النصر من دفع كامل الثمن، لا بدَّ من ذلك ولو كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موجوداً بينهم. وليست المسألةُ أن ترتبط الفتوحات باسم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتتم بقيادته وتحت إشرافه من أجل عظيم محبة الله تعالى له. ولكن المسألة هي أن يبرهن المسلمون الذين بايعوا الله ورسوله على صدقهم في هذه المبايعة، وأن يصدقوا فيما عاهدوا الله عليه يوم أن وقعوا بالقبول والرضا تحت قوله تعالى : ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفُسَهُمْ وأموالَهُمْ بأنّ لهُمْ الجنّةَ يقاتلون في سبيلِ الله فيَقتُلونَ ويُقتَلونَ ﴾(التوبة: 111).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من ينابيع حكمة الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام -

في النهي عن عيب الناس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد،،،

قال إمام التوحيد ومصباح التفريد، إمام العارفين علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه:

"إِنَّمَا يَنْبَغِي لأَهْلِ العِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ[1] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مَنْ ذُنُوبِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْب قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ؟! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بَعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيما سِوَاهُ، مِمَّا هُو أَعْظَمُ مِنْهُ، وَأَيْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!

يَا عَبْدَ اللهِ! لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَد بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَة، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ؛ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.".

حَضَّ أميرُ المؤمنينَ – عليه السلام– أولئك الذين عصمهم الله تعالى من سبلِ الذنوبِ وطرقِ المعاصي أن يكونوا أهل لينٍ وشفقة، وعطف ورحمة بِمَن ابتلاهم الله تعالى بها، إذ في هذا تشبهٌ بحال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطاب الله تعالى له: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: 107)، كما حثَّ الإمام – عليه السلام– أن يُقَابِلَ هؤلاء النعمة بحمد الله عزَّ وجل ويُقَيِّدُوها بشكره لقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (سورة إبراهيم: 7)

ثم يتعجب – عليه السلام– ممن يُقْبِلُ على الناس بعيوبهم ويُعَيِّرُهُم بِمُصَابِهِمْ، وقد تناسى هذا المرءِ أن الله تعالى تفضل عليه بستر ما هو أعظم مما عند الناس أو مثله، ويُقسِمُ – عليه السلام– أنَّ الإِقدامَ على عيب

1– أي الذين سلمهم الله تعالى من الآثام

الناس أعظم شناعة من عيوب الناس ذاتها؛ لأنَّ العرب قالت في أمثالها: "تَأَمُّلُ العَيْبِ عيبٌ" ولأنَّ عيوب الناس التي فيهم شرها يلزمهم وحدهم، أما الذي عاب الناس فشَرُّهُ تعدَّى إلى غيره.

ثمَّ يأمر – عليه السلام– بالرَّوِيَّةِ والرفق مع الخلق وتركهم لله؛ لقوله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(الغاشية: 22) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العنفِ﴾(رواه مسلم) وألَّا يأمن المرء عاقبة ذنبه وإنْ صَغُرْ، مشتغلا بمعالجة عيوب نفسه، وذاكراً فضل الله تعالى عليه بمعافاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

من عظماء الإسلام

زين العابدين

علي بن الحسين عليهما السلام

اسمه وكنيته:

هو سيدنا الإمام علي زين العابدين السجاد بن الإمام السبط الشهيد الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة الطاهرة البتول فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم السلام – وهو علي الأصغر وأما سيدنا علي الأكبر فقد استشهد مع سيدنا الإمام الحسين عليهما السلام يوم كربلاء–، وأمه: سلافة – ملكة النساء– بنت يزدجرد ولد أنو شروان ملك الفرس، قال الإمام مالك: سمي زين العابدين لكثرة عبادته.

وكنيته المشهورة: أبو الحسن، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبوبكر.

وألقابه كثيرة أشهرها: زين العابدين، وسيد العابدين، والزكي، والأمين، وذو النفقات، والسجاد.

مولده:

ولد سيدنا زين العابدين في المدينة المنورة غرة شعبان عام 38 هـ الموافق له 658 رومي، في أيام جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام – قبل استشهاده بعامين–.

نشأته:

نشأ عليه السلام في بيت الكرم والجود والعفة، وارتوى من كؤوس المعرفة بالله واليقين به ما لا تزحزحه الجبال، فقد تربى في حجر سِبْطَيْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعاش في المدينة المنورة، حاضرة الإسلام الأُولى، ومهد العلوم والعلماء، في وقت كانت تحتضن فيه ثلّة من علماء الصحابة، مع كبار علماء التابعين، فكان بشهادة أكابر أبناء طبقته والتابعين لهم، الأعلم والأفقه والأوثق، بلا ترديد. فقد كان الزهري يقول : "ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه"، هذا وقد كانت مدرسته تعج بكبار أهل العلم من حاضرة العلم الأُولى في بلاد الإسلام، يحملون عنه العلم والأدب، وينقلون عنه الحديث ومن بين هؤلاء، كما أحصاهم الذهبي: ابنه أبو جعفر محمد الباقر — وسمي بالباقر لأنه بقر العلوم– وعمر، وزيد، وعبد الله، والزهري، وعمرو بن دينار، والحكم ابن عُتيبة، وزيد بن أسلم، ويحي بن سعيد، وأبو الزناد، وعلي بن جدعان، ومسلم البطين، وحبيب بن أبي ثابت، وعاصم بن عبيد الله، وعاصم بن عمر بن

قتادة بن النعمان، وأبوه عمر بن قتادة، والقعقاع بن حكيم، وأبو الأَسود يتيم عروة، وهشام بن عروة بن الزبير، وأبو الزبير المكّي، وأبو حازم الأَعرج، وعبدالله بن مسلم بن هرمز، ومحمد بن الفرات التميمي، والمنهال بن عمرو، وخلق سواهم.. وقد حدّث عنه أبو سلمة وطاووس، وهما من طبقته، وغيرهم كثير، وغيرهم ممن وصف بالخلق الكثير أخذوا عن الإمام زين العابدين علوم الشريعة من تفسير القرآن الكريم والعلم بمحكمة ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وأحكامه وآدابه، والسُنّة النبوية الشريفة روايةً وتدويناً في عصر كانت ما تزال كتابة الحديث فيه تتأثر بما سلف من سياسة المنع من التدوين التي أسسها الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، السياسة التي اخترقها أئمة أهل البيت فكتب عنهم تلامذتهم والرواة عنهم الشيء الكثير، إلى أحكام الشريعة، حلالها وحرامها وآدابها، إلى فضيلة الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما تأدبوا على يديه في مجالسه بآداب الإِسلام التي شحنها في أدعيته التي اشتهرت وانتشرت في عهده حتى أصبحت تشكّل لوحدها ظاهرة جديدة في تبني أسلوب روحي متين، ليس لإِحياء القلوب وشدّها إلى الله وحسب؛ بل إلى إحياءِ معا لم الشريعة وحدودها وآدابها الأَدعية التي حفظ المشهور جداً منها في الصحيفة المعروفة بالصحيفة السجادية نسبة إليه حيث عرف الإمام علي زين العابدين بالسجاد.

مواقفه ومناقبه:

لسيدنا الإمام زين العابدين مواقف كثيرة ومناقب جمة لا تحصرها هذه الزاوية الصغيرة، لكن نفتح منها نافذة نطل بها على بعضها، تعريفاً بحقه الذي شرعه الله لآل البيت الأطهار، وإظهاراً لفضلهم وكرمهم ونسبهم..

- ورعه عليه السلام:

روى أبو نعيم في (الحِلية): "قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من فلان، قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أحداً أورع منه"

وقال الذهبي: "ما أكل علي بن الحسين – عليهما السلام- بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درهماً قط".

- عبادته عليه السلام:

روى الذهبي عن سفيان أنه قال: حجَّ علي بن الحسين – عليهما السلام-، فلما أحرم اصفرّ، وانتفض ولم يستطع أن يُلبِّي، فقيل: ألا تُلَبِّي، قال: أخشى أن أقول لبيك، فيقول لي: لا لبيك، فلما لبَّى غُشِيَ عليه وسقط من راحلته، فلم يزل ذلك به حتى قضى حجته.

وقال السخاوي: كان من أفاضل بني هاشم وفقهاء أهل المدينة وعبادهم، بل كان يقال بالمدينة أنه في ذلك الزمان سيد العابدين.

- هيبته عليه السلام:

قال أبو نُعَيم: حجَّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه، وجاء سيدنا علي بن الحسين – عليهما السلام– فوقف له الناس وتنحوا حتى استلمه، قال: ونُصِبَ لهشام منبر فقعد عليه فقال له أهل الشام: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعرفه – وهو يعرفه خشية أن يعرِّف به الناس–، فقال الفرزدق: لكني أعرفه، هذا علي بن الحسين – عليهما السلام–، وأنشد قائلاً:

هـذا الـذي تعـرفُ البَطْحَـاءُ وَطْأَتَـهُ ... والبيـتُ يعرفـهُ والحِـلُّ والحـرمُ
هـذا ابـن خـير عبـاد اللهِ كلهـمُ ... هـذا التقـيُّ النقـيُّ الطـاهرُ العلـمُ
هـذا ابـن فاطمـة إن كنـتَ جاهلـه ... بجـده أنبيـاءُ اللهِ قـد خُتِمُـوا
إذا رأتـهُ قـريشٌ قـال قائلهـا ... إلى مكـارمِ هـذا ينتهـي الكـرمُ
ولـيسَ قولـكَ مَـنْ هـذا بِضَـائره ... العُـرْبُ تعـرفُ مَـنْ أنكـرتَ والعجـمُ
إن عُـدَّ أهـل التقـى كـانوا أئمـتهم ... أو قيـل مَـنْ خيرُ أهـلِ الأرض؟ قيـل هـمُ

- تواضعه عليه السلام:

قال الذهبي: كان علي بن الحسين – عليهما السلام– يدخل المسجد فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، وقال له نافع بن جبير: غفر الله لك أنت سيد الناس تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد، فقال علي بن الحسين – عليهما السلام–: "العلم يُبتغى ويُؤتى ويُطلَبُ من حيث كان"

- صبره على البلاء:

روى أو نُعيم في (الحِلية): أن علي بن الحسين – عليهما السلام– سمع ناعِيَةً في بيته وعنده جماعة، فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه، فقيل له: أَمِنْ حَدَثٍ كانت ناعية؟ قال: نعم، فعزوه، وتعجبوا من صبره، فقال: "إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده فيما نكره"

ومن صبره عليه السلام على البلاء، ما لَقِيَهُ مع أهل بيته في كربلاء، فإنَّ المصادر التاريخية تؤكد أنّ الإمام علي زين العابدين كان حاضراً في كربلاء إذ شهد واقعة الطفّ بجزئياتها وتفاصيلها وجميع مشاهدها المروّعة،

وكان شاهداً عليها ومؤرخاً لها، وأنه كان يوم كربلاء مريضاً أو موعوكاً [1] وعندما أدخلوا الإمام زين العابدين على ابن زياد سأله: "من أنت؟" فقال: "أنا عليّ بن الحسين"، فقال له: "أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟" فقال الإمام زين العابدين: "قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس"، فقال ابن زياد: "بل الله قتله"، فقال الإمام علي زين العابدين: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، فغضب ابن زياد وقال: "وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه"، فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: "يا ابن زياد، حسبك من دمائنا"، واعتنقته وقالت: "لا والله لا أُفارقه فإن قتلته فاقتلني معه"، فقال لها عليّ: "اسكتي يا عمّة حتى أُكلّمه"، ثمّ أقبل عليه فقال: "أَبِالقتلِ تهدّدني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة"[2] ثمّ أمر ابن زياد بالإمام زين العابدين وأهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم.

وفاته:

توفي رحمه الله في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم في عام 94 هـ الموافق له 712 رومي، ودفن فيها، رحم الله الإمام رحمة واسعة ونفعنا بعلومه وبركاته، وجمعنا به مع جده صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض وفي الجنة، اللهم آمين .. آمين .. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

(1)موعوكاً: «الْوَعْكِ» وَهُوَ الْحُمَّى. وَقَدْ وَعَكَهُ المرضُ وَعْكاً. ووُعِكَ فَهُوَ مَوْعُوكٌ.

(2) ابن الإثير: الكامل في التاريخ:45

فتاوى وأحكام

صفر الخير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،،

فإننا على أبواب شهر فضيل، كان أهل الجاهلية يتشاءمون منه، فجاء سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأظهر الله به سماحة الإسلام، وأزال الشرك عن ذوي الأوهام، فوصف سيدنا ومولانا محمد شهر صفر بالخير قاطعاً الطريق على المشعوذين والمتنطعين، وهداية لهم إلى الدين القويم.

فقد رُوِيَ في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ﴿ لا عدوى ولا هامة ولا صفر ﴾، وتفسيره كما قال كثير من المتقدمين: الصفر: داء في البطن يقال: إنه دود فيه كبار كالحيات وكانوا يعتقدون أنه يعدي فنفى ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وممن قال هذا من العلماء: ابن عيينة والإمام أحمد وغيرهما، ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلا في قوله: ﴿ لا عدوى ﴾ وقد يقال: هو من باب عطف الخاص على العام، وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى، وقالت طائفة: بل المراد بصفر شهر ثم اختلفوا في تفسيره على قولين:

أحدهما: أن المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك.

والثاني: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم؛ فأبطل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك. وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولي عمن سمعه يقول ذلك، ولعل هذا القول أشبه الأقوال وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه. والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بالأيام كيوم الأربعاء، ففي المسند عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ دعا على الأحزاب يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر ﴾ قال جابر: "فما نزل بي أمر مهم غائظ إلا توخيت ذلك الوقت فدعوت الله فيه الإجابة أو كما قال".

وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة وقد قيل: إن أصله أن طاعوناً وقع في شوال في سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية. وقد ورد الشرع بإبطاله، قالت

عائشة رضي الله عنها: "تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شوال وبنى بي في شوال فأي نسائه كان أحظى عنده مني"، وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال وتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة في شوال - أيضا-.

لهذا يشرع لمن استعاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جلبت عليه، ويستعيذ به تعالى من شرها وشر ما جبلت عليه، وكذا ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوماً سكنوا داراً فقل عددهم وقل ماهم أن يتركوها ذميمة فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهي عنه، وكذلك من اتَّجَر في شيء فلم يربح فيه ثلاث مرات فإنه يتحول عنه. روى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه قال: "من بورك له في شيء فلا يتغير عنه"، وفي المسند وسنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها مرفوعاً: ﴿ إذا كان لأحدكم رزق في شيء فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له ﴾

وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان، كشهر صفر أو غيره فغير صحيح، وإنما الزمان كله خلْق الله تعالى، وفيه تقع أفعال بني آدم فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤوم عليه، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحيين - يعني اللسان-" وقال: "ما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان". وقال عدي بن حاتم: "أيمن أمر بي وأشأمه بين لحييه - يعني لسانه-".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

من أدب الإسلام

قباحة الكِبْر وشناعة العُجْب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا المعظم المكرم رسول الله وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين ومن والاه، أما بعد،،،

قباحةُ الكِبْر:

اعلم أن المتكبر امرؤ ناقص العقل، مضطرب النفس؛ لأنه يُعَوِّلُ على التفاخر على عباد الله بما أعطاه، وإظهار محاسِنِ ذاته وعملِهِ بين الناس، وهو وما عَمِلَ مخلوقٌ لله لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: 97)، فانظر كيف بلغت به الحماقة مبلغا اتَّكَلَ فيه على مخلوق مثله – عمله– ونسي التوجه إلى الخالق جلَّ وعزّ.

وقد خصَّصَ القاضي الماوردي الشافعي – رحمه الله تعالى– فصلاً في كتابه (أدب الدنيا والدين) عن مُجانَبَةِ الكِبْرِ والإِعْجَابِ وعلَّلَ لهذا العنوان بقوله: "لأَنَّهما يسلِبَانِ الفضائل ويكسبان الرذائل، وليس لِمَنْ استوليا عليه إصْغَاءٌ لنصحٍ ولا قبولٌ لتأديبٍ، والمتكبرُ يُجِلُّ نَفسَهُ عن رتبة المتعلِّمين، والمعْجَبُ يستكثر فضلَهُ عن استزادة المتأدبين".

وقال كذلك: "أَمَّا الكِبْرُ فيُكْسِبُ المقْتَ، ويُلْهِي عن التآلفِ، ويُوغِرُ صُدُورَ الإخوان"، لذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل من البادية يوصيه بوصية نبي الله نوح – عليه الصلاة والسلام–: « أَنْهَاكَ عن الشرك بالله والكبر » (رواه البخاري في الأدب المفرد)، وهو سبب مانع من دخول الجنة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يدخلُ الجنَّةَ من كان في قلبِه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من كِبْرٍ، ولا يدخلُ النارَ من كان في قلبِه مثقالُ خردلةٍ من إيمانٍ » (رواه أبو داوود)، ونَقْلِهِ صلوات الله عليه وآله عن الله – جلَّ مجدُهُ– في الحديث القدسيّ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: « الكبرياءُ رِدائي، والعظمةُ إِزاري، فمن نازعَني واحدًا منهما؛ قذفْتُه في النارِ » (رواه أبو داوود)

وحُكِيَ أَنَّ مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخير نظر الى المهَلَّب بن أبي صَفُرَة وعليه حُلَّة يسحبها ويمشي الخيلاء فقال: يا أبا عبد الله! ما هذه المِشْيَة التي يُبغِضَهَا اللهُ ورسولُه؟ فقال المهَلَّب: "أَمَا تَعْرِفُنِي؟" فقال المطرِّفُ: "بلى أَعْرِفُكَ! أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ[1]، وَآخِرُكَ جِيفةٌ قَذِرَةٌ، وحَشْوُكَ فيما بين بول وعَذِرَةٌ"

وقال الأحنف بن قيس: "عجبتُ لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر؟!" يريد بذلك أنَّ مبتدأ الإنسان نَسَمَة في صُلبِ أبيه ثم جنينا في رحم أمه وهو في الحالتين سينتقل من المجرى إلى الآخر، وقد قال ابن السمّاك لعيسى بن موسى: "تواضُعُكَ في شرفك أشرفُ لك من شرفك".

شَنَاعَةُ العُجْبِ:

وأَمَّا العُجب فأَساسُ شناعته رضا المرءِ عن نفسه وموافقته إيَّاها حتى توردهُ المهالك وتورثه طاعتها سوء العواقب؛ ولذلك قال بعض الحكماء: "عُجبُ المرء بنفسه أحد حُسَّادِ عقله".

ويقعُ العُجْبُ أَكثرَ ما يقع في نفوس من مَلَكَتْ يمينه زمام السلطة حتى يجد في نفسه استعلاءً على الخَلْقِ، قال بعض البلغاء: "الناس في الولاية اثنان: رجل يحب العمل بفضله ومروءته، ورجل جَلَّ بالعمل لنقصِهِ ودناءَتِهِ، فمَنْ جَلَّ عَن عملِهِ؛ ازداد به تواضعاً وبِشْراً، ومن جَلَّ عنه عملُهُ؛ ازداد به تجبرا وتكبرا".

وقال الفضل بن سهل: "مَنْ كانت ولايته فوق قدره؛ تَكَبَّرَ لها، ومن كانت ولايته دون قدره؛ تواضع لها". وقد قال مصعب بن الزبير: "التواضع مصايد الشرف"؛ لأنه يُقرِّبُ المرءِ من الناس حتى يصير خادما لهم، كثيرَ المشيِ في حوائجهم؛ فيطير له ذكر حسن بينهم وصيتٌ لقول الشاعر:

وإنمــــا المـــــرء حــــديثٌ بعــــدَهُ   فَكُــــنْ حــــديثا حســــنا لِمَــــنْ وَعَــــى

وحكى الأصمعي أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا مُدِحَ؛ قالَ: "اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون". ولا يبلغ المرء المراتب العالية إلَّا بإِخلاصِ نيته وإِصلاح عمله؛ فتجيء ثمرة ذلك الأحدوثة الحسنة بين الناس فإِنْ ترك العمل؛ اصابته سِهَامُ قولِ الشاعرِ:

إذا المــــرءُ لَمْ يمدحْــــهُ حُسْــــنُ فِعَالِــــهِ   فمادِحُــــهُ يَهْــــذِي وإنْ كَــــانَ مُفْصِــــحَاً

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

1- مَذِرَةٌ: فاسدة

قبسات من المجلة الزيتونية

كيف أسس الإمام الأعظم مذهبه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أشرف المرسلين وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،،

أسس الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه مذهبه على نحو ما قاله عن نفسه أني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات فاذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم فاذا انتهى الامر إلى ابراهيم الشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب (وذكر جماعة من المجتهدين) فلي أن أجتهد كما اجتهدوا.

وأصله في هذا الأساس الذي سار عليه واتبع في الاستنباط ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما ولاه قاضيا على اليمن سأله: بم تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد قال: بسنة رسوله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي.

وكان أبو حنيفة نَظَّاراً في كتاب الله عارفاً بحديث أهل الكوفة روى كثيرا عن علمائها المبرزين في الحديث والفقه وعلوم الدين.

ولم يكن يجلس للتحديث كعادة المحدثين وإنما كان يملي فروع الفقه على تلاميذه بعد التشاور فيها وإذا احتيج إلى دليل مسألة تكلم كُلٌ بما عنده ثم يحدثهم عن شيوخه من الأحاديث المرفوعة والموقوفة وآثار التابعين بالسند المتصل تارة وأخرى بلاغاً وتعليقاً وانقطاعاً.

نقل الإمام الطحاوي عن مسند الإمام الخوارزمي: أن الإمام أبا حنيفة اجتمع معه ألف من أصحابه أجلهم وأفضلهم أربعون قد بلغوا حد الاجتهاد فقربهم وأدناهم، وقال: "إني ألجمت هذا الفقه وأسرجته لكم فأعينوني فإن الناس قد جعلوني جسراً على النار، فإن المنتهى لغيري واللعب على ظهري". فكانت إذا وقعت واقعة شاورهم وناظرهم وحاورهم وسألهم فيسمع ما عندهم من الأخبار والآثار أي التي رووها عن غيره ويقول ما عنده وربما ناظرهم الشهر أو أكثر حتى يستقر آخر الأقوال فيثبته أبو يوسف حتى أثبت الأصول على هذا المنهاج شورى لا إنه تفرد بذلك. اهـ.

وذكر أئمة المذهب بالرواية أن الإمام كان من الحفاظ المكثرين المتقنين كتب عن أربعة آلاف من أئمة الحديث أحاديث كثيرة. رُوِيَ عن يحيى بن نصر قال: دخلت عليه في بيت مملوءة كتباً فقلت له: ما هذا؟ فقال: "هذه الأحاديث ما حدثت بها إلا اليسير الذي ينتفع به" اهـ.

وهذه الأحاديث التي يرويها الإمام يتركها كتابا مسنداً وإنما أملاها على تلاميذه كما علمت.

وقد عني تلاميذه بما سمعوه من الآثار وجمعوها في تصانيف مفردة مرتبة على أبواب الفقه وفي طليعتهم الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري رضي الله عنه فإنه صنف مسنداً جمع فيه مروياته عن الإمام وأضاف إليها ما رواه عن غيره وهو الذي عرف بمسند أبي يوسف واشتهر بكتاب الآثار. رواه عنه ابنه يوسف.

قال الشيخ عبد القادر القرشي: روى كتاب الآثار عن أبيه عن أبي حنيفة وهو مجلد ضخم. وروى محمد بن محمود الخوارزمي مسند أبي يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي، وأبو محمد ابراهيم بن محمد بن سالم، ومحمد بن علي بن بقاء. وغيرهم إذنا عن ابن الجوزي، وأبو القاسم يحي بن نوش إذنا عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري إجازة. وأبي محمد الحسن الجوهري عن أبي بكر محمد الأبهري عن أبي عروة الحسين بن محمد بن مودود الحرّاني عن جده عمر بن عمرو عن أبي يوسف عن أبي الوفا المصري. اهـ.

وكتاب الآثار هذا هو أول مسانيد الإمام تأليفاً طبع بمصر عام 1355 هجرية بمطبعة الاستقامة نشرته لجنة إحياء المعارف النعمانية بالقاهرة عن النسخة الوحيدة التي في دار الكتب المصرية.

وحدثنا أبو الوفا أيضا عن المسانيد فقال: وصنف الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام مسندين مسنداً في الآثار المرفوعة، وكتاب الآثار في المرفوعة والموقوفة.

وصنف الإمام الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي مسنداً وعرف بمسند الحسن، وصنف حماد بن الإمام أبي حنيفة مسنداً، وصنف محمد بن خالد الوهبي مسنداً رواه أبو بكر أحمد بن محمد بن خالد بن خلى الكلاعي عن أبيه عن جده عن محمد بن خالد صاحب المسند فنسب إليه وعرف بمسند الكلاعي، ثم جاء بعد هؤلاء أبو محمد عبد الله بن محمد البخاري الحارثي المتوفى عام 1340 فصنف مسنداً كبيراً. ثم اختصره القاضي الإمام صدر الدين موسى بن زكريا الحصكفي المتوفى عام 650 بالقاهرة، ثم رتبه الشيخ محمد عابد السندي المدني على أبواب الفقه وهو الشهير اليوم بمسند أبي حنيفة وشرحه العلامة الأستاذ محمد حسن الاسرائيلي السنبلي الهندي المتوفي سنة 1305، وصنف القاضي عمر بن الحسن الاشناني المتوفى سنة 337 مسندا ثم صنف الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي المتوفى سنة 365 مسنداً، ثم صنف الحافظ أبو الحسن محمد بن المظفر المتوفى سنة 379، وكذا الحافظ العدل طلحة بن محمد بن جعفر المتوفى سنة 380.

محمد الشاذلي بن القاضي

علماء من غزة

الإمام الشافعي (الجزء الأول)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد...

كنَّا قد تحدثنا عن سيدنا الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، إلا أن إعراض الناس عن الأئمة الأعلام وجهلهم بهم واستهانتهم بالخوض في دين الله بغير علم، أحببنا أن نتحدث عنه بإسهاب أكبر كونه إمام عظيم من أئمة المسلمين رضي الله عنهم وأرضاهم وصاحب مذهب معتبر عند أهل السنة والجماعة، وذلك بذكر مسيرته وحياته ومناقبه بتوسع أكبر، فنخصص له فقرة علماء من غزة على شكل سلسلة عنه رضي الله عنه وأرضاه وجعلنا من الحامدين لله عليه.

اسمه ونسبه:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نبايوت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن – عليه السلام–، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان الإمام مطلبيًا من جهة الأب كما سبق، وهاشميًا من جهة أمهات الأجداد، وأزديًا من جهة أمه خاصة.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

اتفق العلماء على أن إمامنا الشافعي – رحمه الله ورضي الله عنه– ولد في عام خمسين ومائة من الهجرة الموافق لـ 767 رومية، وهي السنة التي مات فيها الإمام الأعظم أبو حنيفة – رضي الله عنه وأرضاه–، ونُقِلَ عن الإمام الشافعي – رضي الله عنه وأرضاه–، أنه قال: ولدت بغزة، ونُقِلْتُ إلى مكة، وأنا ابن سنتين، وروى محمد بن الحكم: أن أم الإمام الشافعي – رحمه الله وإياها– لما حملت به، رأت في المنام كأن المشترى خرج من بطنها، وانقض بمصر، ثم وقع في كل بلدٍ منه شظية. فقال المعبرون: إنه يخرج عالم عظيم من بطنها يكون علمه في جميع بلاد الإسلام. وذكر: أن الشافعي كان في أول الأمر فقيرًا، ولما سلموه إلى المكتب ما

كانوا يجدون أجرة المعلم، فكان المعلم يقتصر في التعليم؛ إلا أن المعلم كان كلما علَّم صبيانه شيئًا، كان الشافعي يتلقف ذلك الكلام، ثم إذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعي يعلم الصبيان تلك الأشياء، فنظر المعلم، فرأي الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي كان يطعمها منه، فترك طلب الأجرة، واستمرت هذه الأحوال، حتى تعلم القرآن كمال سبع سنين. قال الشافعي: ولما ختمت القرآن، دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وأحفظ الحديث، أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، وكنت فقيرًا، بحيث ما كنت أجد ما أشتري به القراطيس، فكنت آخذ العظم وأكتب فيه، واستوهب الظهور من أهل الديوان - أي الأوراق المكتوبة المستغنى عنها- وأكتب في ظهرها. ونقل الربيع بن سليمان: أن الإمام الشافعي - رضي الله عنه وأرضاه- كان يفتي، وله خمس عشرة سنة، ويقول الإمام فخر الدين الرازي: واعلم؛ أن الشافعي في أول الأمر، إنما تفقه على مسلم بن خالد ثم في أثناء الأمر، وصل إليه الخبر بأن مالك بن أنس، إمام المسلمين وسيدهم. قال الشافعي: فوقع في قلبي أن أذهب إليه، فاستعرت الموطأ - كتاب الإمام مالك- من رجل بمكة، وحفظته، ثم دخلت على والي مكة، فأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس وقدمت المدينة وبلغت الكتاب؛ فقال والي المدينة: يا فتى لو كلفتني المشي من جوف المدينة إلى جوف مكة راجلًا حافيًا، كان أهون علي من المشي إلى باب مالك؛ فقلت: إن رأي الأمير أن يحضره، فقال: هيهات، ليتنا إذا ركبنا إليه، ووقفنا على بابه كثيرًا، فُتح لنا الباب؛ قال: ثم ركبت وذهبت معه إلى دار مالك، فتقدم رجل وقرع الجرس، فخرجت إلينا جارية، فقال لها الوالي: قولي لمولاك إني بالباب؛ فدخلت الجارية وأبطأت، ثم خرجت، فقالت إن مولاي يقول: إن كان لك مسألة فارفعها في رقعة، حتى يخرج إليك الجواب؛ وإن كان المجيء لمهم آخر، فقد عرفت يوم المجلس - المقصود هنا هو مجلس الإمام مالك وهو يوم الخميس- فانصرف؛ فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والي مكة في مهم، فدخلت، وفي يدها كرسي، فوضعته؛ فإذا مالك شيخ طوال، قد خرج، وعليه المهابة، وهو متطيلس - نوع من الثياب-؛ فدفع الوالي الكتاب إليه، فلما بلغ إلى قوله: إن محمد بن إدريس رجل شريف من أمره ومن حاله: كذا وكذا؛ رمى الكتاب من يده، وقال: يا سبحان الله، صار علم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- يطلب بالرسائل!! قال الشافعي: فتقدمت إليه؛ فقلت: أصلحك الله، إني رجل مطلبي من حالي وقصتي: كذا وكذا، فلما سمع كلامي؛ نظر إلي ساعة، وكان لمالك فراسة؛ فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد، فقال لي: يا محمد، اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، فقلت: نعم وكرامة، فقال: إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بالمعصية، ثم قال: إذا كان غدًا، تجيء بمن يقرأ لك الموطأ. فقلت: إني أقرؤه من الحفظ، ثم إني رجعت إليه من الغد، وابتدأت القراءة، فكلما أردت قطع القراءة؛ خوفًا من ملالته،

أعجبه حسن قراءتي، فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة؛ ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي الإمام مالك بن أنس – رضي الله عنه وأرضاه-؛ قال الشافعي: ولما مات مالك وكنت فقيرًا اتفق أن والي اليمن قدم المدينة، فكلمه بعض القرشيين، في أن أصحبه، فذهبت معه، واستعملني في أعمال كثيرة، جهدت فيها، والناس أثنوا علي؛ ثم إن الحساد سعوا بي إلى هارون الرشيد، وكان باليمن واحد من قواده، فكتب إلى هارون يخوفه من العلويين، وذكر في كتابه: أن معهم رجلًا يقال له: محمد بن إدريس الشافعي، يعمل بلسانه، ما لا يقدر المقاتل عليه بسيفه؛ فإن أردت أن تبقي الحجاز عليك، فاحملهم إليك، فبعث الرشيد إلى اليمن، وحملوني مع العلويين، إلى العراق؛ وصار ذلك سببًا لوقع الإمام الشافعي – رضي الله عنه وأرضاه- في تلك المحنة المشهورة. وذكروا: أنه دخل العراق سنة سبع وسبعين ومائة وأقام سنتين، وصنف كتابه القديم، وسماه كتاب "الحجة"، وعاد إلى بغداد سنة تسعين وتسعين ومائة، وأقام بها شهرًا، ثم إنه خرج إلى مصر وأقام بها إلى أن مات، وفيها صنف كتابه الجديد.

هذا ما اكتفينا به لهذا العدد، ونكمل في العدد القادم بعض من صفحات إمامنا الجليل الإمام الشافعي رحمة الله عليه ورضوانه.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

بلادنا فلسطين

التقسيمات الإدارية في العهد البريطاني الأسود

قسم الجنرال اللنبي (Allenby)، عندما كان مركز قيادته في اللد في عام 1917 رومية الأراضي التي استعمرها في جنوب فلسطين إلى خمس مناطق إدارية؛ وهي: القدس ويافا وغزة والخليل وبئر السبع، وعيَّن لكل منها حاكمًا عسكريًا، وعندما تم احتلال البلاد جميعها في عام 1918 رومية؛ أضيفت إليها 8 مناطق أخرى؛ وهي: نابلس، وطول كرم، وجنين، وحيفا، والناصرة، وعكا، وطبرية وصفد، ولكل منها أيضًا حاكمها العسكري، وفي عام 1919 رومية انخفض عدد المناطق المذكورة من 13 إلى 10؛ وذلك بجمع عكا مع حيفا، وطبرية وصفد مع الناصرة، وكانت البلاد تعرف حينئذٍ باسم "إدارة بلاد العدو المحتلة – القسم الجنوبي" (Occupied Enemy Territory Administration: O.E.T.A.)، ولما تألفت الحكومة المدنية في 1 تموز عام 1920 رومية؛ أعيد تشكيل المناطق على الوجه التالي:

- القدس، وتضم الخليل.
- يافا، وأضيف إليها قسم من قضاء طول كرم.
- بئر السبع.
- غزة.
- فنيقيا وقصبتها حيفا، وتشمل عكا ومدينة طول كرم والقسم الأخير من قضائها.
- الجليل، ويتبعها طبرية وصفد والناصرة.
- السامرة، وتشمل نابلس وجنين.

ثم أخذت الحكومة تتخبط في تقاسيمها الإدارية ففي 1 تموز من عام 1922 رومية؛ قسمت فلسطين إلى أربعة ألوية:

اللواء الجنوبي: ومركزه غزة، ويضم أقضية غزة والمجدل وبئر السبع والخليل.

لواء القدس ـ يافا: ومركزه القدس، وليافا امتياز أشبه بالاستقلال الإداري.

اللواء الشمالي: ومركزه حيفا، ويضم أقضية حيفا، وعكا، وزمَّارين، والناصرة، وطبرية، وصفد.

لواء السامرة: ويتألف من نابلس، وجنين، وطول كرم، وبيسان.

وفي 22 تموز 1927 رومية؛ أعيد تقسيم البلاد إلى لواءين: شمالي وجنوبي، وإلى منطقة واحدة وهي منطقة القدس، واللواء الشمالي يحتوي على أقضية حيفا، وعكا، والناصرة، وطبرية، وصفد، ونابلس، وجنين، وطول كرم، وبيسان، وقصبته حيفا، واللواء الجنوبي ويتبعه أقضية يافا، والرملة، وغزة، والخليل، وبئر السبع، وعوجا الحفير، ومقره يافا، ومنطقة القدس وتضم أقضية القدس، ورام الله، وبيت لحم، وأريحا، وقاعدته القدس؛ ثم قسمت البلاد إلى أربعة ألوية، فكانت في عام 1938 رومية تضم:

لواء الجليل: ويلحقه أقضية عكا، وصفد، وطبرية، وبيسان، والناصرة.

لواء حيفا والسامرة: ويتألف من أقضية حيفا، ونابلس، وجنين، وطول كرم.

لواء القدس: ويضم القدس، ورام الله، وبيت لحم، وأريحا، والخليل.

لواء الجنوب: ويشمل يافا، والرملة، وغزة، وبئر السبع.

وفي عام 1940 رومية؛ كانت البلاد تنقسم إداريًا إلى ست ألوية وهي:

غزة: ويشمل بئر السبع وغزة.

اللد: يافا، والرملة.

القدس: القدس، وبيت لحم، والخليل، وأريحا، ورام الله.

السامرة: طول كرم، وجنين، ونابلس.

حيفا: قضاء حيفا.

الجليل: الناصرة، وبيسان، وطبرية، وعكا، وصفد.

وبقي هذا التقسيم معمولًا به حتى نهاية الحكم البريطاني اللعين – جازاهم الله ما يستحقون–

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

عدد خاص

وظيفة شهر صفر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،

فقد رُوِيَ في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ﴿ لا عدوى ولا هامة ولا صفر ﴾، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فمن أعدى الأول؟ ﴾

أما العدوى: فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه إلى من يقارنه من الأصحاء، فيمرض بذلك. وكانت العرب تعتقد ذلك في أمراض كثيرة منها الجرب، ولذلك سأل الأعرابي عن الإبل الصحيحة يخالطها البعير الأجرب فتجرب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فمن أعدى الأول ﴾، **ومراده:** أن الأول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله وقدره، فكذلك الثاني وما بعده. وقد وردت أحاديث أشكل على كثير من الناس فهمها، حتى ظن بعضهم أنها ناسخة لقوله: ﴿ لا عدوى ﴾ مثل ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ لا يورد ممرض على مصح ﴾، **والممرض:** صاحب الإبل المريضة، **والمصح:** صاحب الإبل الصحيحة. **والمراد:** النهي عن إيراد الإبل المريضة على الصحيحة. ومثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فرّ من المجذوم فرارك من الأسد ﴾، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الطاعون: ﴿ إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها ﴾ ودخول النسخ في هذا كما تخيله بعضهم لا معنى له، فإن قوله: ﴿ لا عدوى ﴾ خبر محض لا يمكن نسخه إلا أن يقال: هو نهي عن اعتقاد العدوى لا نفي لها، ولكن يمكن أن يكون ناسخا للنهي في هذه الأحاديث الثلاثة وما في معناها.

بيان معنى لا عدوى:

والصحيح الذي عليه جمهور العلماء: أنه لا نسخ في ذلك كله، ولكن اختلفوا في معنى قوله: ﴿ لا عدوى ﴾، وأظهر ما قيل في ذلك: أنه نفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن هذه الأمراض تعدي بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك. ويدل على هذا قوله: ﴿ فمن أعدى الأول؟ ﴾ يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره، فكذلك الثاني وما بعده.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا يعدي شيء شيئا ﴾ قالها ثلاثا، فقال أعرابي: "يا رسول الله النقبة[1] من الجرب تكون بمشفر[2] البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها ؟"، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فما أجرب الأول، لا عدوى ولا هامة ولا صفر، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصابها ورزقها ﴾، فأخبر أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(الحديد:22)، فأما نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن إيراد الممرض على المصح، وأمره بالفرار من المجذوم، ونهيه عن الدخول إلى موضع الطاعون، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى، وجعلها أسبابا للهلاك أو الأذى. والعبد مأمور باتقاء أسباب البلاء، فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت العادة بأنه يهلك أو يؤذى، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم أو القدوم على بلد الطاعون. فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف. والله تعالى هو خالق الأسباب ومُسَبَّبَاتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره. وهذه الأسباب التي جعلها الله أسباباً يخلق المسببات عندها لا بها.

وأما إذا قوي التوكل على الله تعالى والإيمان بقضائه وقدره، فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادا على الله، ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر. ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كان مصلحة عامة أو خاصة وعلى مثل هذا يحمل الحديث الذي خرجه أبوداود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال: ﴿ كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه ﴾ وقد أخذ به الإمام أحمد، وقد روي نحو ذلك عن عمر وابنه عبد الله وسلمان رضي الله عنهم. ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه: من أَكْلِ السم. ومنه: مشى سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر. ومنه: أمر عمر رضي الله عنه لتميم حيث خرجت النار من الحرة أن يردها، فدخل إليها في الغار التي خرجت منه. فهذا كله لا يصلح إلا لخواص من الناس قوي إيمانهم بالله وقضائه وقدره، وتوكلهم عليه وثقتهم به.

ونظير ذلك دخول المغاور بغير زاد لمن قوي يقينه وتوكله خاصة وقد نص عليه أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة. وكذلك ترك التكسب والتطبب، كل ذلك يجوز عند أحمد لمن قوي توكله. فإن التوكل أعظم

---

(1) النُّقبة : أوّل شيء يَظْهَر من الجرب وجَمْعُها : نُقْب بسكون القاف لأنها تَنْقُب الجلْد : أي تَخْرِقه.

(2) المِشْفَرُ للبعير : كالشَّفَةِ للإنسان والجَحْفَلةِ للفرسِ وقد يُستعارُ للإنسان.

الأسباب التي تستجلب بها المنافع وتدفع بها المضار، كما قال الفضيل: لو علم الله إخراج المخلوقين من قلبك لأعطاك كل ما تريد.

وبذلك فسر الإمام أحمد التوكل فقال: هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين. قيل له: فما الحجة فيه؟ قال: قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار فعرض له جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

فلا يشرع ترك الأسباب الظاهرة إلا لمن تعوض عنها بالسبب الباطن، وهو تحقيق التوكل عليه، فإنه أقوى من الأسباب الظاهرة لأهله وأنفع منها.

فالتوكل: علم وعمل، **والعلم**: معرفة القلب بتوحيد الله بالنفع والضر وعامة المؤمنين تعلم ذلك، **والعمل**: هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين.

والأسباب نوعان:

أحدهما: أسباب الخير: فالمشروع أنه يفرح بها ويستبشر ولا يسكن إليها بل إلى خالقها ومسببها، وذلك هو تحقيق التوكل على الله والإيمان به كما قال تعالى في الإمداد بالملائكة: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾(آل عمران:126)، ومن هذا الباب الاستبشار بالفأل: وهو الكلمة الصالحة يسمعها طالب الحاجة، وأكثر الناس يركن بقلبه إلى الأسباب وينسى المسبب لها، وقل من فعل ذلك إلا وكل إليها وخذل، فإن جميع النعم من الله وفضله كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾(النساء: من الآية79)، ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾(النحل: من الآية53).

ولا تضاف النعم إلى الأسباب بل إلى مُسَبِّبِها ومُقَدِّرِها كما في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « لا عدوى ولا هامة[1] ولا نوء[2] ولا صفر[3] » . وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه، فمن أضاف

(1) الْهَامَةُ : الرَّأسُ واسْمُ طائرٍ . وهو المرادُ في الحديث وذلك أنهم كانوا يَتَشاءَمُون بها وهي من طَير اللَّيل . وقيل : هي البُومَةُ وقيل : كانَتِ العَرَبُ تَزْعُم أنَّ رُوحَ القَتِيل الذي لا يُدْرَكُ بِثَأرِه تَصِير هَامَةً فتَقُول : اسْقُوني فإذا أُدْرِكَ بِثَارِه طَارَتْ

وقيل : كانُوا يَزْعُمُون أن عِظام الميت وقيل رُوحه تَصِيرُ هَامةً فتَطِيرُ ويُسَمُّونه الصَّدَى فنَفَاه الإسْلامُ ونَهاهُمْ عنه.

(2) النوء: المقصود به أنهم كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا فأبطل صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بأن المطر إنما يقع بإذن الله لا بفعل الكواكب وان كانت العادة جرت بوقوع المطر في ذلك الوقت لكن بإرادة الله تعالى وتقديره لا صنع للكواكب في ذلك.

(3) كانت العَرَب تزعُم أن في البَطْن حَيَّةً يقال لها الصَّفَر تُصِيب الإنسان إذا جَاع وتُؤْذِيه وأنَّها تُعْدِي فأبطَل الإسلامُ ذلك . وقيل أرادَ به النَّسِيء الذي كانوا يَفْعلُونه في الجاهليَّة وهو تأخيرُ المحرَّم إلى صَفَر ويجعَلُون صَفَر هو الشهرَ الحرامَ فأبطَلَه

شيئا من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي.

النوع الثاني: أسباب الشر: فلا تضاف إلا إلى الذنوب، لأن جميع المصائب إنما هي بسبب الذنوب كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾(النساء: من الآية79)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(الشورى: 30). فلا تضاف إلى شيء من الأسباب سوى الذنوب: كالعدوى أو غيرها، **والمشروع**: اجتناب ما ظهر منها واتقاؤه بقدر ما وردت به الشريعة مثل: اتقاء المجذوم والمريض، والقدوم على مكان الطاعون، وأما ما خفي منها فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه، فإن ذلك من الطيرة المنهي عنها.

بيان معنى لا طيرة:

والطيرة من أعمال أهل الشرك والكفر، وقد حكاها الله تعالى في كتابه عن قوم فرعون وقوم صالح وأصحاب القرية التي جاءها المرسلون، وقد ثبت في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « الطِّيَرَةُ مِنْ الشِّرْكِ وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ »(أخرجه أحمد)، والبحث عن أسباب الشر من النظر في النجوم ونحوها من الطيرة المنهي عنها، والباحثون عن ذلك غالبا لا يشتغلون بما يدفع البلاء من الطاعات، بل يأمرون بلزوم المنزل وترك الحركة، وهذا لا يمنع نفوذ القضاء والقدر ومنهم من يشتغل بالمعاصي، وهذا مما يقوي وقوع البلاء ونفوذه، والذي جاءت به الشريعة هو ترك البحث عن ذلك، والإعراض عنه والاشتغال بما يدفع البلاء من الدعاء والذكر والصدقة. وتحقيق التوكل على الله عز وجل والإيمان بقضائه وقدره.

وفي مسند ابن وهب أن عبد الله بن عمرو بن العاص التقى هو وكعب فقال عبد الله لكعب: علم النجوم؟ فقال كعب: لا خير فيه، قال عبد الله: لم؟ قال: ترى فيه ما تكره – يريد الطيرة– فقال كعب: فإن مضى وقال: "اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ولا رب غيرك"، فقال عبد الله: "ولا حول ولا قوة إلا بك"، فقال كعب: "جاء بها عبد الله، والذي نفسي بيده: إنها لرأس التوكل، وكنز العبد في الجنة، ولا يقولهن عبد عند ذلك ثم يمضي ألا لم يضره شيء". قال عبد الله: "أرأيت إن لم يمض وقعد؟" قال: "طعم قلبه طعم الإشراك".

وفي مراسيل أبي داود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « ليس عبد إلا سيدخل قلبه طيرة، فإذا أحس بذلك فليقل: أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يذهب السيئات إلا الله، أشهد أن الله على كل شيء قدير ثم يمضي لوجهه ».

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: ﴿ من رجعته الطيرة من حاجته فقد أشرك وكفارة ذلك أن يقول أحدهم: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ﴾. وأخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث عروة بن عامر القرشي قال: ذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿ أحسنها الفأل ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك ﴾، وأخرجه أبو القاسم البغوي وعنده: ﴿ ولا تضر مسلماً ﴾، وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ لا طيرة، والطيرة على من تطير ﴾ وقال النخعي قال عبد الله بن مسعود: "لا تضر الطيرة إلا من تطير". ومعنى هذا أن من تطير تطيراً منهياً عنه وهو أن يعتمد على ما يسمعه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريد من حاجته، فإنه قد يصيبه ما يكرهه فأما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفاً ورجاءً وقطعه عن الإلتفات إلى هذه الأسباب، وقال ما أمر به من هذه الكلمات ومضى فإنه لا يضره ذلك.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا سمع نعق الغراب قال: "اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك". ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند انعقاد أسباب العذاب السماوية المخوفة كالكسوف بأعمال البر من الصلاة والدعاء والصدقة والعتق حتى يكشف ذلك عن الناس، وهذا كله مما يدل على أن الأسباب المكروهة إذا وجدت فإن المشروع الاشتغال بما يوحي به دفع العذاب المخوف منها من أعمال الطاعات والدعاء، وتحقيق التوكل على الله والثقة به فإن هذه الأسباب كلها مقتضيات لا موجبات ولها موانع تمنعها.

فأعمال البر والتقوى والدعاء والتوكل من أعظم ما يستدفع به، ومن كلام بعض الحكماء المتقدمين: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات بأفنان اللغات تحلل ما عقدته الأفلاك الدائرات، وهذا على زعمهم واعتقادهم في الأفلاك. وأما اعتقاد المسلمين: فإن الله وحده هو الفاعل لما يشاء ولكنه يعقد أسباباً للعذاب وأسبابا للرحمة، فأسباب العذاب يخوف الله بها عباده ليتوبوا إليه ويتضرعوا إليه، مثل: كسوف الشمس والقمر فإنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، لينظر من يحدث له توبة؟ فدل على أن كسوفهما سبب يخشى منه وقوع عذاب. وقد أمرت عائشة رضي الله عنها: أن تستعيذ من شر القمر وقال: الغاسق إذا وقب وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شر غاسق إذا وقب. وهو الليل إذا أظلم فإنه ينتشر فيه شياطين الجن والإنس. والاستعاذة من القمر لأنه آية الليل. وفيه إشارة إلى أن شر الليل المخوف لا يندفع بإشراف القمر فيه ولا يصير بذلك كالنهار، بل يستعاذ منه وإن كان مقمراً.

وأخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعاً: ﴿ لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الريح فإنها رحمة لقوم وعذاب لآخرين ﴾ ومثل اشتداد الرياح فإن الريح كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتدت الريح يسأل الله تعالى خيرها وخير ما أرسلت به ويستعيذ به من شرها وشر ما أرسلت به، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى ريحاً أو غيماً تغير وجهه وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سري عنه ويقول: ﴿ قد عذب قوم بالريح ﴾ ورأى قوم السحاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا.

وأسباب الرحمة يرجى بها عباده مثل: الغيم الرطب والريح الطيبة، ومثل المطر المعتاد عند الحاجة إليه. ولهذا يقال عند نزوله: اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب.

وأما من اتقى أسباب الضرر بعد انعقادها بالأسباب المنهي عنها، فإنه لا ينفعه ذلك غالباً كمن ردَّتْه الطيرة عن حاجته خشية أن يصيبه ما تطير به، فإنه كثيراً ما يصاب بما خشي منه كما قال ابن مسعود ودل عليه حديث أنس المتقدم، وكمن اتقى الطاعون الواقع في بلده بالفرار منه، فإنه قل أن ينجيه ذلك وقد فر كثير من المتقدمين والمتأخرين من الطاعون فأصابهم ولم ينفعهم الفرار، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾(البقرة: من الآية243)، وقد ذكر كثير من السلف: أنهم كانوا قد فروا من الطاعون فأصابهم.

بيان معنى لا هامة:

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا هامة ﴾ فهو: نفي لما كانت الجاهلية تعتقده أن الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة: وهو طائر يطير وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ: أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور. وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها، ولكن الذي جاءت بها الشريعة: أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة، وترد أنهار الجنة إلى أن يردها الله إلى أجسادها. وروي – أيضاً– أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة.

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ولا صفر ﴾ فاختُلِف في تفسيره فقال كثير من المتقدمين: الصفر: داء في البطن يقال: إنه دود فيه كبار كالحيات وكانوا يعتقدون أنه يعدي فنفى ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وممن قال هذا من العلماء: ابن عيينة والإمام أحمد وغيرهما، ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلا في قوله: ﴿ لا عدوى ﴾ وقد يقال: هو من باب عطف الخاص على العام، وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى، وقالت طائفة: بل المراد بصفر شهر ثم اختلفوا في تفسيره على قولين:

أحدهما: أن المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك.

والثاني: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم؛ فأبطل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك. وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولي عمن سمعه يقول ذلك، ولعل هذا القول أشبه الأقوال وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه. والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بالأيام كيوم الأربعاء، ففي المسند عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ دعا على الأحزاب يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر ﴾ قال جابر: "فما نزل بي أمر مهم غائظ إلا توخيت ذلك الوقت فدعوت الله فيه الإجابة أو كما قال".

وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة وقد قيل: إن أصله أن طاعوناً وقع في شوال في سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية. وقد ورد الشرع بإبطاله، قالت عائشة رضي الله عنها: "تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شوال وبنى بي في شوال فأي نسائه كان أحظى عنده مني"، وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال وتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة في شوال – أيضا-.

فأما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث في المرأة والدار والدابة ﴾ الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اختلف الناس في معناه – أيضا- فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها أنكرت هذا الحديث أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: إنما قال: ﴿ كان أهل الجاهلية يقولون ذلك ﴾.(أخرجه الإمام أحمد). وقال معمر سمعت من يفسر هذا الحديث يقول: شؤم المرأة: إذا كانت غير ولود وشؤم الفرس: إذا لم يكن يغزى عليه في سبيل الله وشؤم الدار: جار السوء وروي هذا المعنى مرفوعاً من وجوه لا تصح، ومنهم من قال قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ﴿ لا شؤم وإن يكن اليُمْن في شيء ففي ثلاثة ﴾ فذكر هذه الثلاثة وقال هذه الرواية أشبه بأصول الشرع كذا قاله ابن عبد البر ولكن إسناد هذه الرواية لا يقاوم ذلك الإسناد.

والتحقيق أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث: ما ذكرناه في النهي عن إيراد المريض على الصحيح، والفرار من المجذوم، ومن أرض الطاعون، إن هذه الثلاث أسباب قدر الله تعالى بها الشؤم واليُمْن ويقرنه به، ولهذا يشرع لمن استعاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جلبت عليه، ويستعيذ به

تعالى من شرها وشر ما جبلت عليه، كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخرجه أبو داود وغيره، وكذا ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوماً سكنوا داراً فقل عددهم وقل مالهم أن يتركوها ذميمة فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهي عنه، وكذلك من اتَّجَر في شيء فلم يربح فيه ثلاث مرات فإنه يتحول عنه. روى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه قال: "من بورك له في شيء فلا يتغير عنه"، وفي المسند وسنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها مرفوعاً: ﴿ إذا كان لأحدكم رزق في شيء فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له ﴾

وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان، كشهر صفر أو غيره فغير صحيح، وإنما الزمان كله خلْق الله تعالى، وفيه تقع أفعال بني آدم فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤوم عليه، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحيين - يعني اللسان-" وقال: "ما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان". وقال عدي بن حاتم: "أيمن أمر بي وأشأمه بين لحييه - يعني لسانه-". وفي مسند أبي داود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ حُسْنُ المَلَكَةِ نَمَاء، وسوءُ الخُلُقِ شُؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء ﴾ فجعل سوء الملكة شؤماً، وهو من يسيء إلى مماليكه ويظلمهم.

وروي من حديث سيدنا علي عليه السلام مرفوعاً: ﴿ باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها ﴾ (أخرجه الطبراني)، فالصدقة تمنع وقوع البلاء بعد انعقاد أسبابه وكذلك الدعاء، وفي الحديث: ﴿ إن البلاء والدعاء يلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان إلى يوم القيامة ﴾(أخرجه البزار والحاكم)، وأخرج في الترمذي من حديث سلمان رضي الله عنه: ﴿ لا يُرَدُّ القضاء إلا بالدعاء ﴾، وقال ابن عباس: "لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر"، وعنه قال: "الدعاء يدفع القدر وهو إذا دفع القدر فهو من القدر"، وكذلك قال عمر رضي الله عنه لما رجع من الطاعون فقال له أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: "نفر من قدر الله إلى قدر الله"، فإن الله تعالى قدر المقادير، ويقدر ما يدفع بعضها قبل وقوعه، وكذلك الأذكار المشروعة تدفع البلاء، وفي حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من قال حين يصبح ويمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم لم يصبه بلاء ﴾، وفي المسند عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ الشؤم سوء الخلق ﴾، وفي الجملة: فلا شؤم إلا المعاصي والذنوب، فإنها تُسخِطُ الله عز وجل فإذا سخط على عبده شقي في الدنيا والآخرة كما إنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة.

قال بعض الصالحين وقد شكي بلاء وقع في الناس فقال: "ما أرى ما أنتم فيه إلا بشؤم الذنوب"، وقال أبو حازم: "كل ما يشغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم"، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله، واليمن هو طاعة الله وتقواه، والعدوى التي تهلك من قاربها هي المعاصي، فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك وكذلك مخالطة أهل المعاصي ومن يحسن المعصية ويزينها ويدعو إليها من شياطين الإنس وهم أضر من شياطين الجن، قال بعض السلف: "شيطان الجن نستعيذ بالله منه فينصرف وشيطان الإنس لا يبرح حتى يوقعك في المعصية"، ومما يروى لعلي عليه السلام:

فلا تصحب أخا الجهـ ... ـل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حكيما حين آخاه

يقاس المرء بالمر ... ء إذا ما المرء ماشاه

وللشيء على الشي ... ء مقاييس وأشباه

وللقلب على القلـ ... ـب دليل حين يلقاه

فالعاصي مشؤوم على نفسه وعلى غيره، فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس خصوصاً من لم ينكر عليه عمله، فالبعد عنه متعيِّن، فإذا كثُر الخبث هلك الناس عموماً وكذلك أماكن المعاصي وعقوباتها يتعين البعد عنها والهرب منها خشية نزول العذاب، ولما تاب الذي قتل مائة نفس من بني إسرائيل، وسأل العالم: هل له من توبة ؟ قال له: نعم، فأمره أن ينتقل من قرية السوء إلى القرية الصالحة، فأدركه الموت بينهما، فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إليهم أن قيسوا بينهما فإلى أيهما كان أقرب فألحقوه بها، فوجدوه إلى القرية الصالحة أقرب برمية حجر، فغفر له.

هجران أماكن المعاصي وأخواتها من جملة الهجرة المأمور بها، فإن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، قال إبراهيم بن أدهم: "من أراد التوبة فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة من كان يخالطه وإلا لم ينل ما يريد".

فاحذروا الذنوب فإنها مشؤومة عواقبها ذميمة، وعقوباتها أليمة، والقلوب المحبة لها سقيمة، السلامة منها غنيمة، والعافية منها ليس لها قيمة، والبلية بها لا سيما بعد نزول الشيب داهية عظيمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

- بدع التفاسير لمولانا الإمام الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري رحمه الله.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- الإتحاف بحب الأشراف، لعبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني الشافعي.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر المالكي.
- خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إعداد: إبراهيم شمس الدين.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله.
- أدب الدين والدنيا للإمام أبي الحسن الماوردي رحمه الله.
- المجلة الزيتونية.
- إتحاف الأعزة في تاريخ غزة للشيخ المؤرخ عثمان مصطفى الطَّبّاع الغزي رحمه الله.
- موسوعة بلادنا فلسطين للمؤرخ مصطفى مراد الدباغ رحمه الله.